

التراث اللغوي العربي والدراسات اللغوية الحديثة

محمد ياسر سليمان

— قسم علم اللغة جامعة سانت أندروز —
اسكتلندا

مقدمة :

ان رفض الجديد لأنّه غير قديم، وقبول القديم لأنّه تراثي وقديم، وان رفض القديم لأنّه غير جديد، وقبول الجديد لأنّه جديد غير تراثي كانا، ولازلا، آفة خطيرة من آفات الحياة الفكرية واللغوية العربية المعاصرة. إن هذين الموقفين رغم تعارضهما الفكري التام، فانهما يشكلان مظاهرتين لاتجاه واحد خاطيء، الا وهو اتجاه التعصب في حياتنا الفكرية، سواء كان هذا التعصب لتراثنا الفكري أو لفكرة الغرب ونظرياته.

اما مجموعة الوسط، والتي أود ان اركز على موقفها من تراثنا اللغوي في هذه المقالة، فان انتها من نوع لا يختلف كثيرا في صلبه عن آفة أصحاب كل من الموقفين آنفي الذكر. ان آفة اصحاب هذا الموقف ليست هي رفض القديم، فهذا هو الذي يهدفون الى محکمتته، من أجل بيان نقاط القوة او الضعف فيه، بل انه قبل الحديث واعتباره، الى حد كبير، المعيار الأول والنهائي للوصول الى تاليتهم، دون محکمة لهذا الحديث بطريقة نقدية فاحصة، ترمي الى بيان نقاط القوة فيه، من أجل عززها للاستناد عليها كقاعدة محکمة في معالجة تراثنا اللغوي. فتحن نرى ان هذه الجماعة كثيرا ما تميل الى اعتبار كل ما اتفق من تراثنا اللغوي مع آخر الأفكار اللغوية الحديثة، كذلك التي تشتمل عليها الأشكال المختلفة لنظرية تشومسكي (*Chomsky*) مثلا، هي نقاط قوة في هذا التراث، وكل ما خالف هذه الأفكار من تراثنا اللغوي نقاط ضعف فيه. ان هذه الجماعة تغفل بمحققها هذا مسلمة علمية على غاية من الأهمية الا وهي ان هذه الدراسات، رغم حداثتها، بحاجة الى البحث والنقاش والمحاكمة وهي لذلك لا تصلح كأدلة جاهزة وفورية عند محاولتنا تقييم تراثنا اللغوي.

ان التراث اللغوي العربي، كما وضعه اللغويون العرب القدامى، بحاجة ماسة الى دراسة حادة، من وجهة النظر اللغوية الحديثة، وذلك من أجل تحديد الأسس التي اعتمد عليها أولئك اللغويون، والتي ما زال يعتمد عليها من يعذو حذوه من اللغويين العرب في عصرنا الحاضر، للوصول الى تاليتهم فيما يتعلق بطبيعة اللغة العربية كنظام لغوي، سواء كانت تلك الأسس فلسفية، باوسع معنى هذا التعبير، أم أنها كانت أساسا لغوية بحتة. ان هذه الدعوة ليست جديدة في الحياة اللغوية والفكرية العربية المعاصرة. لكن ردة الفعل التي افرزتها تلك الدعوة تضارب وتباينت في كثير من الأحيان فمن رافق المشاركة باي نشاط من هذا النوع، انطلاقا من مبدأ ان ما أدى به اجدادنا القدامى من اللغويين العرب هو كامل وصحيح، لا يقبل النقد في صلبه، ولا يستدعي المراجعة في اصوله، وبين حماولة أخرى لرفض هذا التراث والتخلص منه باعتبار انه قديم عقيم، لا قيمة له ولا فيه. وبين هذين الموقفين المتعارضين، يطالعنا موقف اصحاب الوسط، والذي يدعى القائلون به الى التنظر في اصول تراثنا اللغوي، نظرية فاحصة مدققة، تهدف الى بيان نقاط القوة او الضعف فيه، أو كلّيهما معا. وهم يستندون في اجراء مثل هذه المحکمة لتراثنا اللغوي على الدراسات اللغوية الحديثة كما تُجرى في جامعات الغرب ومؤسساته الأكاديمية الأخرى، باعتمادها في نظرهم تمثيل ذرعة ما توصل اللغويون الحداثون اليه من استنتاجات تتعلق بطبيعة اللغة الإنسانية، وميزات اللغات الإنسانية وخصائصها كل على انفراد. ان الأغلبية العظمى من اصحاب هذا الموقف ودعاته، تتألف من لغويين عرب درسوا النظريات اللغوية الحديثة في جامعات الغرب ومؤسساته العلمية.

الاهتمام في اختبار صحة نظرية علمية ما، بناء على اسلوب بور هذا، لا ينصب على محاولة اثبات صحة هذه النظرية، بل على محاولة اكتشاف خططها واثباته. فان تم ذلك فان صحة هذه النظرية تكون قد ثُقِّيَتْ، اما ان لم يتم ذلك فانه لا يجوز القول بثبوت صحة هذه النظرية، نظراً لانه لا يمكن من وجة النظر المنطقية، استبعاد احتفال اثبات خططها في المستقبل القريب أو البعيد.

ان هذه المعالجة لطبيعة النظريات العلمية تدعيمها الكثير من الادلة العلمية المستفادة من تاريخ تطور العلوم. فعل سيل المثال لا الحصر، فانه رغم فشل جميع المحاولات لاثبات خطأ نظرية نيوتن، طوال فترة شيوخها، فقد ظُئرَّ في النهاية اثبات خططها على يد اينشتاين في مطلع هذا القرن. ان هذه الواقعة الحامة، في تاريخ تطور العلوم الطبيعية، تشير بكل وضوح الى حقيقة انه لا يجوز القول، من وجة النظر المنطقية، بصحبة نظرية علمية ما انطلاقاً من واقع ان كل المحاولات التي تمت لاثبات خططها قد باءت بالفشل، وعليه، فلا يمكن نفي احتفال ثبوت خطأ هذه النظرية في زمن ما في المستقبل.

ان ما سبق ذكره اعلاه بخصوص طبيعة النظريات العلمية، استناداً الى نظرية بور في طبيعة المعرفة العلمية، سواء كانت هذه المعرفة في مجال العلوم الطبيعية أم العلوم الإنسانية، يدل على انه لا يصح، لأسباب منطقية وتاريخية، اعتبار اية نظرية علمية، مهما بلغت درجة شيوخها، او ثقتنا بها، كاداة أو وسيلة للحصول على المعرفة العلمية نظرية مسلمة لا يجوز الشك فيها، وحقيقة لا غبار عليها. كما وسئلنا لما ورد ذكره اعلاه إلى ان النظريات غير العلمية، أو الميتافيزيقية كما يسمى ببور، تختوي على افكار وآراء لا يمكن اختبار صحتها عن طريق محاولة اثبات ما تشير إليه، أو تتحدث عنه، وذلك بمواجهتها بعالم الواقع الطبيعي أو الانساني.

نظريّة تشومسكي

تعد نظرية تشومسكي في القواعد التحويلية التوليدية من أكثر النظريات اللغوية المعاصرة أهمية وأعظمها شيوخاً. ومن أهم الأمور التي تدعو إليها هذه النظرية هو ضرورة التفريق بين اللغة الإنسانية، من جهة، واللغات الإنسانية كل على انفراد، كاللغة العربية أو الانجليزية مثلاً، من جهة أخرى. اما اللغة الإنسانية في رأي أصحاب هذه النظرية فانها تشكل مجموعة اللغويات العمومية (*Universals Linguistic*) التي تُعرَفُ كل لغة إنسانية كلغة إنسانية. أو بعبارة أخرى انها مجموعة المقومات اللغوية التي تتواجد في كل لغة إنسانية مُحددة إياها كلغة إنسانية، لا، مثلاً، كنظام اتصال ذو طبيعة أخرى. أما مفهوم أصحاب هذه النظرية لطبيعة

ان ما سبق طرحه حتى الآن، فيما يتعلق بموقف مجموعة الوسط، يشير الى مقوله هامة يمكن تلخيصها بما يلي : ان محاولة عاصمة وتقدير تراثنا اللغوي العربي، من وجة النظر اللغوية الحديثة، يجب ان ترتكز على اسس سليمة، قائمة على نظرية مُدققة لأصول الدراسات اللغوية الحديثة، سواء كانت تلك الأصول فلسفية منطقية، أم لغوية بحثية. ان غياب هذه النظرية المنهجية من آلية معاولة تهدف الى استكمال نقاط القوة أو الضعف، أو كلها معاً في تقييم التراث اللغوي العربي تؤدي، لاحالة، الى دراسات عقيمة لافائدة علمية منها.

اما المهدف من هذه المقالة فيمكن تلخيصه في نقطتين اثنتين : الأولى تقصد الى اثبات أنَّ كثيراً من النظريات اللغوية الحديثة لا تعطي اصولها الفلسفية العلمية حقها من البحث والتتحقق قناعيًّا هذه النظريات، رغم شيوخها مهزوزة الأصول. ان هذا، في نظري، يدعو الى الخذر من اعتبار هذه النظريات مسلمات وحقائق لا ريب فيها، عند معالجة تراثنا اللغوي. ونظراً لأنه لا يمكن معالجة كل هذه النظريات، أو حتى واحدة منها، معالجة تامة هنا، فاني سوف اركز على جانب بسيط، لكنه هام، من نظرية تشومسكي (*Chomsky*) كمثال على هذه النقطة. أما سبب تركيزى على نظرية تشومسكي دون غيرها فانه نابع من كون هذه النظرية أكثر النظريات اللغوية شيوعاً في الغرب، ونظراً لأنَّ أكثر أعضاء مجموعة الوسط من اللغويين العرب يعتمدون عليها في دراساتهم النقدية لتراثنا اللغوي. أما النقطة الثانية فانها تهدف إلى اعطاء مثال مقتضب من مقالة عربية حديثة، من أجل ايضاح مشكلة مجموعة الوسط، وتشيل موقفهم، كما تمت الاشارة الى هذا آنفاً.

الا انه قبل أن أخوض في بحث هاتين النقطتين، فاني سوف احاول أن اعرض بصورة سريعة لسمة هامة من سمات النظريات العلمية، بغض النظر عن المجال العلمي لتلك النظريات، أو موضوع بحثها، استناداً إلى نظرية فيلسوف العلم كارل بور (*Popper*).

احدى سمات النظريات العلمية :

ان احدى المقولات الاساسية التي تشمل عليها نظرية بور في طبيعة العلم تنص على وجود فرق جوهري بين النظريات العلمية، من ناحية، والنظريات غير العلمية، أو الميتافيزيقية، من ناحية أخرى. اما الدعامة التي ترتكز عليها هذه المقوله فهي انه بينما يمكن اختبار صحة ما تقول به النظريات العلمية من خلال مواجهتها، إما مباشرةً أو بطريق غير مباشرةً، بارضية الواقع الطبيعي أو الانساني الذي تشير اليه، أو تحوال وصفه وتحليله، فان هذا لا يمكن تتحققه في مجال النظريات غير العلمية أو الميتافيزيقية. ان

اللغات الإنسانية منفردة فيمكن تمثيل المفهوم الذي يتحتم اعطاؤه للغة العربية بناء على نظرتهم هذه. فاللغة العربية، بناء على هذه النظرية، هي مجموعة الجمل التي تضمن تحت هذه اللغة، والتي يتم توليدها من مجموعة محددة يسمى تشومسكي بالتركيب العميق (Surface Structures) (Katz, 1964)، بواسطة استعمال قواعد لغوية مختلفة النوع ومرتبة ترتيبنا معيناً. ونظراً للأساس النفسي الذي تقوم عليه نظرية تشومسكي فإنه لا مناص من القول بأن اللغة العربية، بالمفهوم الذي تم اتباعه أعلاه، هي ظاهرة نفسية عقلية لها وجودها في دماغ كل من يتحدث بها كلغة أم. لقد عبر كاتز (Katz)، وهو أحد اتباع تشومسكي، عن هذه النظرة إلى طبيعة اللغة الإنسانية بصورة واضحة في مقالة له نشرها في المجلد رقم (40) من مجلة اللغة (Language) الصادرة سنة (1964).

يقول كاتز (ص 133) في هذه المقالة :

«The linguistic description and the procedures of sentence production and recognition must correspond to independent mechanisms in the brain. Componential distinctions between the syntactic, phonological, and semantic components must rest on relevant differences between three neural submechanisms of the mechanism which stores the linguistic description. The rules of each component must have their psychological reality in the input-output operations of the computing machinery of this mechanism. The ordering of rules within a component must, contrary to the claims of Bloomfield and many others, have its psychological reality in those features of the computing machinery which group such input-output operations and make the performance operations in one group a pre-condition for those in another to be performed».

ان ما ازيد التركيز عليه بما سيعالجه البحث أدناه هو المكانة العلمية، أو عدمها على وجه أصبح، للمفهوم الذي اقترحه تشومسكي وأتباعه بخصوص ماهية اللغة الإنسانية وطبيعتها كظاهرة نفسية مركبها الدماغ، معتمداً في ذلك على نظرية بور في طبيعة العلم.

من المسلم به انه لا يمكن أن نختبر، بصورة مباشرة، صحة التركيب البنوي للغة انسانية ما، كما يكون هذا التركيب بناء على نظرية تشومسكي، نظراً لأنه لا تتوافر لدينا الوسائل والأساليب التي يمكننا بواسطتها أن نراقب ما يجري في ادمغة الناطقين بهذه اللغة كلغة أم، أثناء قيامهم بنشاطاتهم اللغوية، دون اثلاقوها. فمثلاً نحن لا نستطيع ان نفتح جهاجم أصحاب لغة من اللغات من أجل مراقبة ما يدور في ادمغتهم أثناء نشاطاتهم اللغوية دون ان ندمر أو نتلف هذه الأدمغة التي نود مراقبتها. كما اننا لا نستطيع أن

نستعمل اساليب الأشعة القوية، كوسيلة لاختبار صحة تركيب بنوي مركب الدماغ، دون اتلاف هذا الدماغ أثناء عملتنا هذه. ونتيجة لذلك، فإن أصحاب المدرسة التحويلية التوليدية، وغيرهم من اللغويين الذين ينظرون إلى اللغات الإنسانية كظواهر نفسية، يتبعون اسلوب التمددجة (Modelling) عند حاولتهم اختبار صحة ما يقول به نظرياتهم. وفحوى هذا الأسلوب هو بناء نموذج لغوي، يرمي إلى توليد كل الجمل التي هي جمل نحوية صحيحة في لغة من اللغات الإنسانية. فإن نجاح هذا التمددج في القيام بهذه المهمة – أي في توليد كل الجمل التحويلية في اللغة التي هو نموذجاً لها – استنتاج أصحاب المدرسة التحويلية، ومن شاكلهم من علماء اللغة المعاصررين، بأن التركيب اللغوي لموزجهم يقابل تركيب اللغة الإنسانية المعنية، كما هي ظاهرة نفسية بالدماغ. وقد يذهب بعضهم إلى ابعد من هذا، فيقولون بتطابق التركيب اللغوي لموزجهم أن يولد كل الجمل التي هي جمل نحوية صحيحة في اللغة التي يرمي هذا النموذج إلى ان يكون نموذجاً لها، فإن أصحاب المدرسة التحويلية، ومن شاكلهم من علماء اللغة المعاصرين الذين ينظرون إلى اللغات الإنسانية كظواهر نفسية، يرفضون هذا التمددج باعتباره نموذجاً خاطئاً.

ونظراً لأن معرفة افراد مجموعة لغوية ما بلغتهم لا يمكن أن تكون متساوية أو متكافئة، اضافة إلى ان هناك فرقاً بين المعرفة اللغوية عند كل فرد من هؤلاء الأفراد، والتي هي كاملة متكاملة، ونشاطه اللغوي المليء بالتردد وزلات اللسان وانصاف الجمل، فإن تشومسكي وأنصاره يفترضون مفهوماً اسموه «المتحدث المثالى». والمفروض أن هذا المتحدث المثالى يعرف لغته معرفة تامة كاملة، وهو ليس بعرضة للتعدد، وزلات اللسان، وانصاف الجمل، مما نلاحظه في النشاط اللغوي للمتحدث العادي. ومعنى هذا كله، هو ان محاولة اكتشاف مقدرة النموذج اللغوي الذي يقتربه عالم اللغة على توليد كل الجمل التحويلية الصحيحة في لغة ما، ولا شيء غيرها، تم عن طريق مواجهة هذه الجمل بالمعرفة اللغوية التي يمتلكها «المتحدث المثالى» بهذه اللغة. فإن اتفقت جميعها مع معرفة اللغوية، قبل بان التركيب اللغوي الذي يتضمنه النموذج اللغوي لهذه اللغة يقابل، أو لعله يصور، التركيب البنوي الذي يمتلكه المتحدث المثالى بهذه اللغة في دماغه. أما اذا كانت النتيجة معاكسة لذلك، فإن هذا كاف للحكم بخطأ هذا النموذج، نظراً لعدم قدرته على مقابلة أو تصوير التركيب البنوي الذي يمكنه معرفة المتحدث المثالى اللغوية.

ان ما يهمنا هنا هو المرتبة العلمية للاستدلال القائل بان التركيب البنوي للنموذج اللغوي يقابل أو يصور التركيب البنوي

تم استقراء المقوله الصحيحه «كل العرب يتكلمون اللغة العربية» من مقدمات خاطئة في ارض الواقع. وبالتالي فانه يجوز القول بصحه تلك المقدمات لأنها لا تؤدي الى مقوله، أو نتيجة صححة واقعية. وبناء على ذلك فيمكنا القول بان الاستدلال على صحة التركيب البنوي للنموذج اللغوي استنادا الى صحة نتائجه، أي الجمل التي يولدها، لا يقوم على أرضية منطقية محكمة، بل هو في الحقيقة، يخالف احدى قواعد التفكير المنطقي، وبالتالي التفكير العلمي الذي يشكل علم المنطق احد دعائمه الأساسية.

يتضح مما تم ذكره اعلاه ان المفهوم الذي تقدم به نظرية تشومسكي لطبيعة وماهية اللغات الانسانية لا يقوم على اساس علمي ومنطقى مقبول. واذا ما توخيانا الدقة في التعبير، فان هذا المفهوم ليس الا مفهوما ميتافيزيقيا، بالمعنى الذي يحدد بوير لهذا المصطلح. غير ان هذا لا يعني بان نظرية تشومسكي هي باكمالها نظرية ميتافيزيقية. فهذه النظرية تختوي على بعض العناصر التي يمكن اختبار صحتها بالطريقة التي يدعوا اليها بوير. كا ان هذه النظرية قد اثارت سائل جوهريه تتعلق بطبيعة اللغة الانسانية لم تثيرها من قبل نظريات لغوية حديثة سبقتها. الا انه رغم ذلك، واعتمادا على الاستنتاجات التي توصلت اليها اعلاه، فانه لابد من الاعتراف بان نظرية تشومسكي تبدو ضعيفة الاصول اذا ما نظرنا اليها من وجها نظر فلسفة العلم، بما في ذلك علم المنطق. ولذا فانه ليس من الحكمة اعتبار هذه النظرية حقيقة مسلما بها عند معالجتنا لتراثنا اللغوي العربي.

مثال مقتضب

ولبيان ضرورة الوقوف وقفه فاحصة مدققة من الدراسات اللغوية الحديثة، عند بحثنا للتراث اللغوي العربي من وجها نظر هذه الدراسات، فاني سوف اركز بصورة مقتضبة على مفهوم الصرف (Morpheme)، كما تم شرح هذا المفهوم في مقالة الدكتور عبد الرحمن ايوب «المفهومات الأساسية للتحليل اللغوي عند العرب»، التي تم نشرها في الجزء الأول من المجلد السادس عشر من مجلة اللسان العربي سنة 1978.

يتبنى المؤلف في هذه المقالة احد اشهر التعريفات لهذا المفهوم في الدراسات اللغوية الحديثة، الا وهو أن الصرف يشكل «أقل مجموعة من الوحدات الصوتية (التي) تؤدي معنى» (ص 18). ومثل اصحاب هذا التعريف — بلومفليد (Bloomfield) وابناعه على وجه الخصوص — يقع المؤلف في خطأين اثنين. اوهما قوله في سياق آخر بأن «الصرف يتكون من صوتيات» (Phonemes). فهذا التحديد لمفهوم الصرف يعارض المفهوم الأول وبناقضه: فكيف يمكن لشيء يؤدي معنى أن يتكون من

لغة التي يرمي هذا النموذج الى ان يكون نموذجا لها، اذا كانت الجمل التي يستطيع أن يولدها هذا النموذج تشكل مجموعة الجمل النحوية الصحيحة في اللغة المعنية، استنادا الى المعرفة اللغوية عند المتحدث المثالى، ولا شيء غيرها. ان هذا الاستدلال يشكل احد الأركان الأساسية التي ترتكز عليها نظرية تشومسكي اللغوية. فان نجحت محاولة اثبات ان هذا الركن من أركان نظرية تشومسكي لا يقوم على ارضية علمية ومنطقية يمكن الكون اليها، فانتا تكون قد قدمنا برهانا قاطعا على أنها نظرية ضعيفة الأساس في هذا الجانب من جوانبها على الأقل، وبالتالي فانه لا يجوز اعتبارها مسلمة وحقيقة لاريب فيها في محاولة معالجة وتقدير تراثنا اللغوي من وجها نظر لغوية حديثة. ومن اجل اثبات ان هذا الاستدلال لا يقوم على ارضية علمية محكمة، من وجها النظر التي يدعو اليها بoyer لطبيعة العلم، فاني سوف اذكر على مفهوم «المتحدث المثالى» الذي تعتبر معرفته اللغوية المرجع النهائي في الحكم على صحة أو خطأ نموذج لغوي ما. فهذا المتحدث ليس متخدنا بالمعنى العادي أو التقليدي لهذه الكلمة، بل هو مفهوم لغوي بحث من صنع اللغوي نفسه. وانطلاقا من هذا فإن المتحدث المثالى لا يمكنه امتلاك دماغ يحتوى فيه معرفته اللغوية، كما لا يمكنه اكتساب معرفة لغوية مستقلة عن المعرفة التي يفترض اللغوي انه يتملكها. وبالتالي فليس يمكننا اختبار صحة النموذج اللغوي الذي يفترضه عالم اللغة بالشكل الذي تم شرحه في الجزء الثاني من هذه المقالة. وانطلاقا من ذلك فلا يمكن الوصول الى صحة الاستدلال الذي نحن بصدد معالجته ؛ ولذا فان هذا الاستدلال لا ارضية علمية له من وجها نظر بoyer لطبيعة العلم والمعرفة العلمية. كا ان هذا الاستدلال لا يقوم على ارضية منطقية صحيحة ومحكمة. فالقول بان التركيب البنوي الذي يتضمنه النموذج اللغوي يقابل أو يصور التركيب البنوي للغة التي يرمي هذا النموذج الى ان يكون نموذجا لها، اذا استطاع هذا النموذج ان يولد كل الجمل التي هي جمل صحيحة تجريا في هذه اللغة، ولا شيء غيرها، لا يمكن قوله من وجها نظر علم المنطق لأنه ينقض قاعدة منطقية مؤداها عدم جواز القول بصحة السابق من صحة توابعه. ان تبرير هذه القاعدة نابع من حقيقة انه يجوز من وجها نظر علم المنطق القيام باستقراء مقولات صحيحة من مقدمات خاطئة، ونظرا لذلك فانه لا يجوز ان نستدل على صحة المقدمات من صحة المقولات التي تؤدي اليها هذه المقولات بطريقة منطقية.

ففي المثال التالي :

كل العرب فنلندين
كل الفنلندين يتكلمون اللغة العربية
كل العرب يتكلمون اللغة العربية

صوتيات لا معنى لها؟ وبعبارة أخرى، اذا كان الصرفي هو حقاً أصغر الوحدات النحوية التي تؤدي معنى، فكيف يكون هذا الصرف وحدة لغوية تكون من صوتيات لا معنى لها على الأطلاق؟

اما الخطأ الثاني فإنه يتعلق بالخلط بين مفهومي «الكلمة» و«الصرفي» كوحدات نحوية مستقلة يحب التفريق بينها دوماً وباستمرار نظراً لأنها تشكل اللبنات الأساسية لأجزاء مستقلة من التركيب النحوي لأية لغة من اللغات. فالكلمة تعتبر في نظر اغلبية علماء اللغة المحدثين الوحدة الأساسية في النحو (*Syntax*)، بالمفهوم الضيق لهذا المصطلح، أما الصرف فإنه يعتبر الوحدة الأساسية في الصرف (*Morphology*). أما الخلط الذي اشتراكه آنما فإنه يبدو واضحاً من قول المؤلف (ص 20) «ان بعض الكلمات يمكن ان تكون اساساً لتوليد كلمات أخرى. وذلك باضافة صرفيات ذات معنى إلى الأساس، وقد تكون الصرفيات المضافة بدورها كلمات تصلح اساساً ويمكن استعمالها مستقلة وقد لا تكون». فالقول بأن بعض الصرفيات المضافة إلى الأساس توليد كلمات أخرى يمكن أن تكون «بدورها كلمات» يؤدي إلى الخلط بين الصرف والكلمة، نظراً لأن هنا يجعل من الكلمات المضافة إلى الأساس لتوليد كلمات أخرى نوعاً من أنواع الصرف.

وفي تحليله للكلمة الإنجليزية (*blackbird*) — اسم طائر «الشحرور» بالعربية — على أنها مكونة من الكلمتين (*black*) و(*bird*)، بمعنى العادي لهاتين الكلمتين، يقع المؤلف في نفس التناقض الذي وقع، ويقع، فيه كثير من اللغويين المحدثين الذين يبنون نظرية ماثلة إلى هذه الكلمة وغيرها من الكلمات المشابهة، مثل (*ladybird*) — اسم الحشرة «أم عمرو» بالعربية.

ومصدر هذا التناقض هو أنها إذا كانت كلمة (*blackbird*) هي حقاً كلمة مركبة من كلمتي (*black*) و(*bird*)، بالمفهوم العام لمصطلح الكلمة كوحدة لغوية ذات معنى مستقل بها، فإنه يجب أن يكون ممكناً، من الناحيتين النظرية والوصيفية، ان تستدل على معنى هذه الكلمة من معنى كل من كلمتي (*black*) و(*bird*) اللتين تكوناها بما في ذلك، بطبيعة الحال الرابطة النحوية بينهما.

ولما كان هذا ليس ممكناً، نظراً لأن (*black*) هنا لا تعني «أسود» بالضرورة، انطلاقاً من الواقع ان إناث هذا الجنس من الطير هي بنية اللون، وإن بعض أنواع هذا الجنس من الطير هي بيضاء اللون، فإنه يجب ان تُعتبر هذه الكلمة، من وجهة نظر اللغويات غير التاريجية، كلمة بسيطة، مركبة. كما انه لا يجوز بناء على ذلك ان تُعتبر (*black*) في الكلمة (*blackbird*) «كلمة» بالمفهوم السادس لهذا المصطلح اللغوي، اي كوحدة لغوية ذات معنى مستقل خاص بها. فالتشبه بين (*black*) في الكلمة (*blackbird*) وكلمة (*black*) في (*black bird*) — أي طائر اسود اللون بعض النظر عن الفصيلة التي ينتمي إليها — هو شبه يعزى إلى الشكل فقط، سواء كان هذا الشكل لفظياً أو كتابياً.

خاتمة :

- لقد حاولت في ما سبق من هذه المقالة ان أقدم بعض المراجع والأدلة الداعم الرأي القائل بأن الدراسات اللغوية الحديثة لا تصلح كأدلة جاهزة وفورية لمعالجة ومحاكمة رأتنا اللغوي العربي. فالأغلبية العظمى من هذه الدراسات ما زالت تفضل أهمية النظر إلى اصولها العلمية والمنطقية إلى حد يجعلها غير جديرة بأن يطلق عليها اسم «علم». فمصطلاح «علم اللغة» هو في رأي أكثر انطباقاً على المنزلة التي ترزو إليها الدراسات اللغوية الحديثة منه على حال هذه الدراسات كهي عليه الآن. وتعما لذلك، فإن استعمالنا لمصطلح «علم اللغة» في الصفحات السابقة، للإشارة إلى الدراسات اللغوية الحديثة، منبعه العرف والعادة، لا محاولة الاشارة إلى خاصية العلم في هذه الدراسات.
- ولعل اهال الرجوع إلى علم المنطق في الدراسات اللغوية الحديثة ما هو إلا نتيجة لردة فعل ضد نزعة لغوية قديمة كانت تهدف إلى اخضاع اللغات الإنسانية لدراسات منطقية لا لغوية. إن هذا يفسر سبباً من اسباب اصرار اللغويين النظريين المحدثين في عصرنا هذا على ضرورة وأهمية دراسة اللغات الإنسانية من وجهة نظر لغوية بحثة. الا أن هذا الاصرار يجب ان لا يُعتبر مدعاة لخطر الرجوع إلى علم المنطق في بناء الدراسات اللغوية. فدور المنطق هنا مختلف اختلافاً جوهرياً عن دوره في الدراسات اللغوية القديمة. ان دوره هنا لا يتعدي كونه اداة نستخدمها في الوصول إلى دراسات لغوية لا يشوبها التناقض، أو كوسيلة نستطيع بواسطتها ان نكشف اي تناقض قد يكون كامناً في دراستها هذه.

المراجع

1. Chomsky, N : *Syntactic Structures*, Juana Linguarum, №IV, The Hague, 1957
2. ——— : *Aspects of the Theory of Syntax*, Cambridge, Mass, 1965
3. Katz, J.J. : «Mentalism in Linguistics», *Language*, Vol. 40, 1964
4. Mulder, J.W.F. and Hervey, S.G.J. : *The Strategy of Linguistics*, Scottish Academic Press, Edinburgh, 1980
5. Popper, K. : *Conjectures and Refutations*, London : Routledge and Keegan Paul, 1963
6. ——— : *The Logic of Scientific Discovery*, Hutchinson (4th ed.), 1965
7. ايوب، عبد الرحمن : «الفهومات الأساسية للتخليل اللغوي عند العرب» اللسان العربي، مجلد 16، 1978،